

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (١٢-١٢): مقومات التكليف ، الفطرة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٧-٠٩-٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأحبة ، أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامجنا عقل وقلب ، وضيف برنامجنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، تحدثنا في الحلقة السابقة عن مقومات التكليف ، وعيننا بمقومات التكليف تلك الأدلة الواضحة ، والآيات الجليلة التي تشهد لله عز وجل بوحدانيته ، الكون الصامت كما علق على ذلك فضيلة الدكتور ، ذلك يشهد لوحدانية الله ، ونتحدث اليوم عن الفطرة وهي من ثوابت النفس البشرية ، فضيلة الدكتور ما هي الفطرة وكيف تعد من مقومات التكليف ؟

كل إنسان معه مقياس ذاتي يكشف خطأه من دون موجه أو معلم أو رسالة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .



أستاذ جميل جزاك الله خيراً على هذا السؤال ، كما أن الله أودع في الإنسان عقلاً يعد مقياساً للحقائق أودع في نفسه مقياساً آخر هذا المقياس يكشف له خطأه ، أي أنت بالمقياس الحديث مبرمج أو مولف أو مفظور أو مكيف على منهج الله عز وجل ، فما من أمر أمرك الله به إلا

ونفسك تتمناه ، وما من نهي نهاك الله عنه إلا ونفسك تعافه ، فالإنسان معه مقياس ذاتي بإمكانه أن يكشف خطأه من دون موجه ، من دون معلم ، من دون رسالة :

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

(سورة الروم الآية : ٣٠)

إقامة وجهك للدين حنيفاً هو نفسه ما برمجت عليه :

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(سورة الروم الآية : ٣٠)

ما من أمر أمرك الله به وما من نهي نهاك الله عنه إلا وجبلتك مبرمجة عليه :

الله عز وجل أمرك أن تكون صادقاً ، وجبلتك تكبر الصدق ، تحب الصدق ، أمرك الله أن تكون أميناً ، وجبلتك وفطرتك تحب الأمانة ، لكن حتى الأمور لا تختلط أن تحب الأمانة شيء وأن تكون أميناً شيء آخر ، حتى الذي يأكلون أموال الناس بالباطل يقتسمونها بالعدل ، لأن العدل فطرة



فالفطرة أنك مبرمج ، مولف ، مصمم ، مفطور على الكمال ، من هنا جاء العذاب النفسي ، إنسان فطرته ليست كاملة فارتكب الجرائم يبقى مرتاحاً ؟ لا يوجد إنسان على وجه الأرض يرتكب خطأ فاحشاً إلا ويتألم ألماً داخلياً ، وهذا ما يسمى بالكآبة المعاصرة ، الكآبة الآن أكبر مرض بالمجتمع البشري ، لأن هناك حركة بخلاف الفطرة ، حركة

بخلاف منهج الله ، إن قلت فطرة يعني منهج الله ، إن قلت فطرة يعني الأمر والنهي ، ما من أمر أمرك الله به وما من نهي نهاك الله عنه إلا وجبلتك مبرمجة عليه لذلك :

﴿ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ (٧) ﴾

(سورة الحجرات)

أنا أضرب مثلاً ، لي صديق في بلد عربي مجاور روى لي هذه القصة ، إنسان يقود مركبة في الساعة الثانية ليلاً ، ودهس طفلاً ولم يعلم به أحد ، كتب الضبط ضد مجهول ، هذا الإنسان لأربعين يوماً لم يستطع أن ينام ليلة واحدة ، ليس هناك مسؤولية ، وليس هناك إدانة ، ولا أي ضبط، ولا أي تقرير ، إلى أن ذهب إلى طبيب نفسي قال له : لا ترتاح إلا إذا أدبت الدية لأهله ، هذا قتل خطأ .

الفطرة جبلة طبيعية فطر عليها الإنسان متوافقة مع منهج الله تعالى :

عندنا في علم النفس مرض اسمه الهستيريا ، اسمه على خلاف واقعته الهستيريا ثلث عضوي لسبب نفسي ، الإنسان يلوم نفسه فنشل أعضاؤه ، مرض من الأمراض ، أي إنسان في الأرض من الستة آلاف مليون يرتكب خطأ ينهى عنه وحي السماء يحس بكآبة ، لذلك أكبر مرض نفسي في العالم الكآبة ، الذين وصلوا إلى قمم



النجاح ينتحرون أحياناً عندهم كآبة ، الكآبة خلاف منهج الله عز وجل ، وخالف مبادئ فطرته ، سواء أقلت : فلان خالف منهج الله أو فلان خالف مبادئ فطرته المؤدى واحد ، فالفطرة جبلة طبيعية ، خصيصة فطر عليها الإنسان ، متوافقة تماماً مع منهج الله ، والدليل هذه الآية الأولى :

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

(سورة الروم الآية : ٣٠)

أن تقيم وجهك للدين حنيفاً هو ذاته فطرتك :

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

(سورة الروم الآية : ٣٠)

فطرة الله ، تأتي بدلاً في الإعراب

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور إذا الأمر هذه الفطرة التي أعطانا الله عز وجل إياها بعد العقل ، العقل أولاً والفطرة ثانياً ، هي ليست خاصة بفئة من الناس ، بل هي عطية وهبة للناس جميعاً.

الفطرة هبة للناس جميعاً :

الدكتور راتب :

الدليل أن الله عز وجل يخاطب أحياناً المؤمنين ، يا أيها الذين آمنوا ، وأحياناً أخرى يخاطب الناس كافة ، الآية تقول :

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(سورة الروم الآية : ٣٠)

أي إنسان حتى الملحد ، ملحد أمه من سبعة أيام لم تأكل شيئاً ، جاء بطعام نفيس أكله وحده ألا يشعر بحقارته ؟ شعور ذاتي ، لذلك أقول لك الآن كلمة خطيرة : أحياناً الإنسان يحتقر ذاته قد لا

يدري بخطئه أحد ، قد يكسب مالمأ كسباً غير مشروع ، قد يبني مجده على أنقاض الآخرين ، قد يبني غناه على إفقار الآخرين ، قد يبني قوته على إضعاف الآخرين ، قد يبني حياته على قتل الآخرين ، قد يبني عزه على إذلال الآخرين ، هذا الإنسان قوي ولا أحد بإمكانه أن يعترض عليه ولكن في داخله انهيار ، انهياره الداخلي بسبب فطرته



من ظلم الناس وتجبر في الأرض انهار بسبب فطرته

هذا الانهيار يجعله بوضع صحي غير جيد ، سريع الانفعال ، ردود فعله قاسية جداً ، هذا اضطرابه النفسي ، أستاذ جميل أنت بالعقل تعرف الله وأنت بالفطرة تعرف خطأك ، الله عز وجل سيحاسبنا ، بالكون آيات (وأعطاك عقلاً) كافية لمعرفة الله ، و لك فطرة كافية لمعرفة خطأك ، لذلك في بعض الفنادق بألمانيا كتب على السرير إذا لم تتم هذه الليلة فالعلة ليست في فراشنا إنها وثيرة ولكن العلة في ذنوبك إنها كثيرة .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ما حكم هؤلاء الذين ينقادون إلى خلاف فطرتهم ؟

من خالف فطرته انقلب كالوحش الكاسر :

الدكتور راتب :



من بالغ في ارتكاب الآثام طمست فطرته

في البداية هناك آلام ، أي إنسان يخالف فطرته لو عقّ أباه ، لو عقّ أمه، لو ارتكب خطأً فاحشاً ، لو أضر بإنسان ، أي إنسان كائن من كان في كل مكان وزمان ، حينما يؤذي أخاه الإنسان يتألم من الداخل ، هذا الألم إلى حين ، إلى أن تنطمس فطرته يصبح كالبهيمة ، هؤلاء الذين ألقوا العدوان على الآخرين ، ابتزاز أموالهم ، انتهاك أعراضهم ، بعد

حين تنطمس فطرتهم هذا المعنى يعبر عنه في القرآن الكريم :

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾

(سورة المطففين)

الأستاذ جميل :

إذاً هذا هو الران الذي يلمس به القلب .

الدكتور راتب :

هذه الفطرة المنطمسة .

تصميم الفطرة من قبل الله عز وجل تصميماً رائعاً تكشف بها الخطأ من الصحيح :

لكن هناك آية :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)﴾

(سورة الشمس)

كيف سواها ربنا ؟ قال تعالى :

﴿فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾

(سورة الشمس)

نحن نخاف أن يفهم من هذه الآية أن الله خلق فيها الفجور معاذ الله ، هذا المعنى مرفوض ، لكن الآية تعني أن الله صمم هذه النفس البشرية تصميماً رائعاً ، بحيث لو أخطأت لكشفت ذاتياً أنها أخطأت ، الإنسان لا يحتاج لا إلى



النفس البشرية صممها الخالق لتمييز بين الخطأ والصواب

موجه ولا إلى مرشد .

الأستاذ جميل :

بمقياس داخلي .

الدكتور راتب :

حتى الهرة إن أطعمتها قطعة لحم تأكلها أمامك ، أما إذا خطفتها بفطرتها تعرف أنها معتدية تأكلها بعيدة عنك .

الأستاذ جميل :

متابعة لحديثنا عن مقومات التكليف نتحدث عن الشهوة كيف التعامل معها ؟ وما هي مصارفها فضيلة الدكتور ؟

الشهوة ميل فطري أودعه الله في الإنسان :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بادئ ذي بدء هذه الطاولة التي أمامي لا تتحرك لأنها لا تشتهي شيئاً ، الشهوة ميل فطري أودعه الله في الإنسان ، قال تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٤)



فقد أودع الله فينا هذه الشهوات ، الإنسان يشتهي الطعام والشراب حفاظاً على وجوده ، يشتهي المرأة حفاظاً على بقاء النوع لكن من دون أن يشعر ، يشتهي العلو في الأرض حفاظاً على بقاء الذكر ، هذه الشهوات بالضبط كالمحرك في المركبة تجعله ينطلق ، يخرج من البيت بحثاً عن عمل من أجل أن يشتري بالأجر طعاماً يأكله ، بعدئذ

بحثاً عن بيت من أجل أن يشتري مأوى يسكنه ، بحثاً عن زوجة ، ثم بحثاً عن أن يرتقي عند الناس من أجل أن يشتري مركبة فارهة يزهو بها ، فالإنسان يبدأ بالطعام والشراب ، ثم يتابع متابعة شهواته الزواج ، ثم يتمنى العلو في الأرض ، هذه شهوات أودعها الله في الإنسان ولولاها لما رأيت على

وجه الأرض شيئاً ، لا رأيت جامعةً ولا جسراً ، ولا بناءً ، ولا مؤسسةً ، لا ترى شيئاً كهذه الطاولة لا تتحرك لأنها لا تنتهي شيئاً .

الأستاذ جميل :

ليس المطلوب كبح تلك الشهوات أو قمع تلك الشهوات وإنما لها مصارف دقيقة .

الشهوة يرقى بها الإنسان إلى الله مرتين ؛ صابراً و شاكراً :

الدكتور راتب :

الإنسان للتقريب : مركبة فيها محرك هي الشهوات ، وفيها مقود هو العقل ، وفيها طريق هو الشرع ، فمهمة العقل أن يبقي المركبة على الطريق ، إذاً لولا الشهوات لما ارتقى الإنسان إلى رب الأرض والسموات ، كيف تتقرب إلى الله ؟ بشيئين ، بترك شهوة لا ترضي الله ، وبممارسة شهوة ترضي الله ، مثلاً المال ، أنت حينما تبتعد عن دخل



مشبوه تتقرب إلى الله ، ترتقي إليه ، أنت تشتهي المال أودع فيك هذه الشهوة لكنك خفت من الله فلم تأخذ المال الحرام ، ثم حينما تعمل عملاً مشروعاً وتكسب المال المشروع تشتري به طعاماً ، تتزوج به ، تتجب أولاداً ، الآن ترقى إلى الله شاكراً ، فبالشهوة ترقى إلى الله مرتين ، ترقى إلى الله صابراً حينما تكف نفسك عن شهوة لا ترضي الله ، وترقى إلى الله شاكراً حينما تمارس شهوة وفق منهج الله، والدليل قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾

(سورة القصص الآية : ٥٠)

المعنى المعاكس من يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه ، بالإسلام لا يوجد حرمان ، بالإسلام يوجد تنظيم .

الشهوات طريق الإنسان للوصول إلى الله عز وجل :

مرة ثانية : لا يوجد شهوة أودعها الله فينا إلا لها قناة نظيفة تسري خلالها ، لذلك في بعض آيات القرآن الكريم :

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٦)﴾

(سورة هود)



لا توجد شهوة أودعها الله فينا إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها

ما معنى بقية الله؟ أي أنت مسموح لك تتحرك بشهوة مئة وثمانين درجة إلا أن الشرع سمح لك بمئة درجة، فما تبقى لك من هذه الحركة الواسعة هو الخير، المرأة زوجة، لا يوجد خلية، لا يوجد عشيقه بمنهج الله عز وجل، هناك زوجة بالحلال، لا تستحي بالعلاقة بها، العرس معه إطلاق أبواب المركبات كأنه إشهار نحن تزوجنا وفق منهج الله، أما أي علاقة غير صحيحة بين شاب وفتاة يخافان ولا يوجد إشهار هناك تستر في مكان مظلم، في مكان بعيد عن أنظار الناس. الشهوة لولاها لما ارتقينا إلى رب الأرض والسموات.

الشهوة أحد أسباب رقي المجتمع إن سلك الإنسان فيها الطريق الحلال :

هناك من يتوهم أن الشهوة أحد أسباب فساد المجتمع، هي أحد أسباب رقي المجتمع، أنت كيف تتقرب إلى الله؟ بترك شهوة لا ترضي الله، لا يوجد قانون في الأرض يمنعك أن تنظر إلى النساء، وأن تملأ عينيك من محاسنهن، ولكن الشرع يأمرك أن تغض البصر، إذاً كل شيء أودعه الله فيك له قناة نظيفة تسري خلالها هذه الشهوة، إذاً الشهوة محرك، يمكن أن تكون سلباً ترقى بها إلى الله، يمكن أن تكون دركات يهوي بها الإنسان إلى جهنم، مثل بسيط: عالم جليل التقيت معه مرة، قال لي: عندي ثمانية وثلاثون حفيداً، معظمهم أطباء منهم خمسة عشر من حفاظ كتاب الله، فأنا فكرت هذا الكم الكبير من الأحفاد الصالحين المثقفين الدينين بسبب علاقة جنسية بين هذا الرجل العظيم وبين زوجته، هذه علاقة أنجبت أحفاداً وأصهاراً وذرية مباركة دينة، وأي بيت دعاة فيه

علاقة مشابهة لكن علاقة بالحرام ، الشهوة كالوقود السائل في المركبة إن وضع في المستودع المحكم ، وسار في الأنابيب المحكمة ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي الوقت المناسب ولد حركة نافعة ، أقلتك أنت وأهلك إلى مكان جميل ، أما إذا صبّ هذا الوقود على المركبة ، وأصابته شرارة أحرق المركبة ومن فيها ، فالشهوات طريق للوصول إلى الله ، على خلاف ما يفهم عامة الناس .
الأستاذ جميل :



الشهوات إما أن ترتقي بالإنسان إلى الله أو تهوي به إلى جهنم

هو مفهوم آخر ليس المطلوب من المتدين أن يكون قاعداً ، ولكن هي المحرك التي تميزه عن هذه الطاولة والجمادات ، فضيلة الدكتور اطلب منكم نصيحة أبوية من القلب إلى القلب لذلك الشاب المسرف على نفسه ، الذي يغيب عقله أمام شهوة المال أو الشهوات المحرمة ، ماذا تقول له ؟

الشهوة ليست قيلاً لحرية الإنسان إنها ضمان لسلامته :

الدكتور راتب :

أقول له : الله عز وجل ما أودع فيك هذه الشهوات إلا ليسمح لك أن تمارسها بشكل نظيف ، أنا أظن أن بعض الشباب يتوهمون أن في التدين حرماناً ، أنا أقول دائماً حقل ألغام أمامه لوحة ، لا يمكن لعاقل أن يظنها قيلاً لحرية بل يتأكد أنها ضمان لسلامته



الشهوة ليست قيلاً للحرية وإنما ضمان لسلامة الإنسان

فهذا الشاب يحب المرأة ، يحب المال ،
إذا علم علم اليقين ، إذا طلب العلم
الصحيح ، إذا سار في معرفة الحقيقة ،
يوقن أن كل هذه الشهوات سوف يصل
إليها في الوقت المناسب ، وفي المكان
المناسب ، وبراحة نفسية ما بعدها من
راحة ، لأن الله عز وجل قال :

﴿وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾

(سورة الرحمن)

جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ، والدليل :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

(سورة الجاثية)

مستحيل وألف ألف مستحيل أن تتجه إلى الله رب العالمين وأن تكون محروماً في الحياة .
الأستاذ جميل :

إذا الجنة جنتان ، في الدنيا جنة وجنة السماء .

انقلاب الفطرة إلى صبغة بالاتصال بالله عز وجل :

الدكتور راتب :

ولكن جنة الدنيا كما قال بعض العلماء : في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، قال
تعالى :

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (٦)

(سورة محمد)

في الدنيا ذاقوا طعمها ، إن طعمها هو
القرب من الله عز وجل ، لكن لا بد من
ملاحظة : أنا ذكرت الفطرة أن تحب
الشيء لا أن تفعله ، لكن الصبغة أن
تكون كريماً ، الفطرة أن تحب الكرم ،
الفطرة أن تحب الرحمة ، الفطرة أن
تحب العدل ، ولكن الصبغة أن تغدو



بالاتصال بالله تنقلب الفطرة إلى صبغة

عادلاً وأن تغدو كريماً ، بالاتصال بالله تتقلب الفطرة إلى صبيغة :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٥٩)

هذه النقطة دقيقة جداً أنا أتمنى أن ينتقل الإنسان من فطرة سليمة إلى صبيغة راقية .

الأستاذ جميل :

يصبغ بهذه الخصال الفطرة السليمة التي أودعها الله عز وجل في النفس .

الدكتور راتب :

الله عز وجل عندما يطلب الإنسان العلم يعرف الحقيقة ، ويدافع من حبه لوجوده ، ولسلامة وجوده ،

ولكمال وجوده ، ولاستمرار وجوده ، يتحرك نحو سلامة وجوده وكمال وجوده .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، وشكراً لكم أيها الأخوة المشاهدون ، نراكم إن شاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين